المادة :السياسة الخارجية:

المرحلة : الرابعة / الدراسة المسائية

محاضرة: عن القيادة واثرها على السياسة الخارجية:

محاضرة عن دوافع القيادة:

تعددت النظـريات والدراسـات في موضوع القيادة، فمن الدراسات ما يعتبر القيادة علماً وفناً يمكن أن تدرس وتكتسب سماتها، ومنها ما يرى أن القائد يولد بالفطرة بخصائص وسمات شخصية تؤهله للقيادة، فظاهرة القيادة تجمع بين التركيب السلوكي والنبوغ الفردي. وتبدو ظاهرة القيادة أكثر أنواع الصور الاجتماعية تعقيدًا وتركيباً .فالظاهرة القيادية ظاهرة اجتماعية، وفردية، ونفسية ونظامية. ان اكتساب صفة القائد الحقيقي أمر دقيق جداً ويحتاج إلى ملكات فيزيولوجية بارزة تولد مع المرء، وإلى ملكات مكتسبة، يحصل عليها الإنسان من خبرة الحياة والمجتمع، وهذه الملكات تختلف من شخص إلى آخر.

ويعد التاريخ مدرسة للخبرات والتجارب، التي يتضح من خلالها أهمية دور القيادة ضمن الأحداث، التي مرت بها الشعوب والأمم، وكيف كان لها التأثير في الخروج من أزمات وأحداث خلدت أسماء قادتها في قدرتهم على التعامل معها. وترتبط فلسفة القيادة بالأساس بالنظرة الإنسانية، التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، فهناك من هم قادة، وهناك من هم منقادون، فالناس في أي مجتمع ينقسمون إلى تراكيب قيادية وتراكيب أخرى منفذة، ولكلٍ مهمات وأدوار تكمل إحداها الأخرى( )، يقول تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ... الآية (الزخرف:32).

وتحتوي الفلسفات، القديمة والمعاصرة، شواهد تشير إلى هذه التصنيفات (قادة ومنفذون) في أي مجتمع، ولكن الاختلاف في تقسيم المهام والأدوار يقوم على الأسس الفلسفية، التي يتبناها القائد.

وذا ما تعمقنا في التاريخ فقد مرت القيادة بمراحل عديدة منذ الحضارات القديمة، فمثلا:في

1- الحضارة المصرية:

القيادة عند قدماء المصريين معبأة بالفكر الإداري الجماعي، فالفلسفة قائمة على ضبط العمليات الإدارية الرئيسة، ومنها التخطيط والتنظيم المحكم، والتركيز على التخصص وتقسيم العمل، فهي قواعد التفكير القيادي ومحتواه. فما يميز الدور القيادي دون غيره من الأدوار، مرهون بالقدرة الإشرافية الشاملة وتسييرها وتدبيرها.

2- الحضارة الصينية:

من الفلسفات القديمة للقيادة ما احتوته أطروحات فيلسوف الصين القديمة (كونفوشيوس) من أفكار تقوم عليها المهام القيادية، التي تستوجب قدراً كبيراً من النزاهة والإيثار.

3- الحضارتان اليونانية والرومانية:

تقوم فلسفة القيادة القديمة عند (سقراط) على أهمية سيادة قيم حسن استخدام الآخرين في إدارة وتنفيذ الأعمال. في حين استخدمت الفلسفة الرومانية القديمة مفهوم التنظيم في بناء هيكلية عمل الدولة، حيث ساد عندهم تفويض السلطات من القيصر إلى حكام الأقاليم في ضوء نظرية التنظيم، وإحكام السيطرة على معظم أنحاء العالم، الذي كان معروفاً آنذاك.

ويتضح من مفهوم القيادة في الحضارات القديمة، ارتباطها بوجود القائد الموجه والمشرف على العمل الجماعي، ضمن تخطيط وعمليات إدارية محددة.

- ثانياً: الحضارة والقيادة في المنظور الإسلامي:

ارتبط ظهور مفهوم القيادة بمفهوم السلطة منذ البداية وممارستها الأولى باعتبارها أساساً تنظيمياً، ومتطلباً ضرورياً لأي مجتمع، وهي التي استدعت مفهوم القيادة. واختلف مفهومها، باختلاف العوامل والمقومات الاجتماعية: فتطور المفهوم «من السلطة داخل العشيرة والقبيلة، إلى سلطة الإمارة والمملكة، مروراً بسلطة الدولة، التي كانت ملامحها تبرز في بعض مدن الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده. وقد استندت السلطة تاريخياً إلى تأثير القائد على الجماهير نفسياً واعتقادياً، والخوف منه، والخضوع له عسكرياً وسياسياً (عنصر قوة).

ومع ظهور الأديان تحولت القيادة إلى الأنبياء والرسل والخلفاء، والصفوة المختارة من الصحابة والمبشرين، فالدين الإسلامي، تسليم وانقياد( )، فقد أوجب الله على الحكام والمحكومين، أن يرجعوا إلى حكمه وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في كل شؤونهم

لقد جاء الدين الإسلامي بأحكام وعقيدة، وأخلاق وعبادات، ومعاملات( )، وحقائق ملازمة للفطرة البشرية، منها ما يتعلق بنظام الحكم وقـــواعــــده، وكيفية اختيار الحاكم، لدوره المهم في حفظ الدولة ومنظماتها، وما قد يواجهها من أخطار تتهددها. وكذلك ما يختص بشكل الحكم، وعلاقته بالأفراد، وحقوقهم إزاء المؤسسة، التي ينتمون إليها، وتسمى في هذا العصر بالقانون أو الدستور.

كما تتجلى حكمة الإسلام في الحرص على القائد الكفء، القادر على الاضطلاع بالمسؤولية وتحقيق مقاصد الشريعة والتي بها يحفظ المجتمع ومصــــــــالح الناس، ووضع الفقهاء القواعد الضابطة لهذه المقاصد وتفاضلها، ورتبوها حسب الحاجة إليها، ومدى أهميتها، وخضوعها لواقع حياة الناس، جلباً لمصالحهم، ودرءًا للمفاسد عنهم.

وأول الضرورات لحفظ النوع الإنساني هو توفير الطعام والشراب، والكساء والمسكن، وغيرها. يضاف إلى ذلك المشاركة في إبداء الرأي من خلال مؤسسات سياسية شرعية، ضمنت للأمة سلامتها النفسية، وصار المواطن سوياً صالحاً يعمل من أجل إعمار أمته وأمنها، وضمان حريتها( )، قال الله تعالى: فليعبدوا رب هذا البيت\* الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف) ، وقال تعالى: إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ). وقال الرســــول صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًــا فِي سِـــرْبِهِ، مُعَــافًى فِي جَسَـــدِهِ، عِنْــــدَهُ قُــوتُ يَوْمِــهِ، فَكَأَنَّمَا حِيـزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

وتبين النصوص السابقة أهمية توفير الضرورات للناس، وربطها بقواعدها الإيمانية والاجتماعية في حيـــاتهم العامة والخاصـــــة؛ وتبنى على هذه القـــواعـــد الشرعية كل الأعمال، من أجل تحقيق الضرورات والحاجيات والتحسينات. فالشريعة الإسلامية تراعي أهمية وجود الحاكم لتحقيق المصالح المشروعة، ودرء المفاسد مراعاة لمصالح العباد.

وإذا ما تعارضت المفاسد والمصالح، رجح أعظمها مصلحة أو أقلها مفسدة، وهذا على خلاف ما ورد في المنهج الغربي، الذي وضع قوانينه الإنسان، فكان الترجيح يستند على ما جاء به الفلاسفة في إعطاء النصوص العقلية سلطة القانون، وتغليب الفكر على الشرع. وتتطلب القيادة في الإسلام، صفات أساسية لمن يقوم بها، من هذه الصفات: الإيمان والتوحيد، والاتباع، والإخلاص، والنصيحة، واليقين والتوكل، والعلم والتعلم، والتربية، والحلم، وحسن الخلق، والرحمة، والعدل، بالإضافة إلى الصبر وتحمل الشدائد، ومن المهم أن يتحلى القائد بالصدق والأمانة، والتزكية والاستخلاف، يقول الله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .

كما حدد الإسلام معايير اختيار القيادة، ومنها شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب؛ والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام؛ والأمانة .كل تلك الصفات وغيرها من صفات، مهمة للقائد المسلم، وتبرز أهميتها من خلال المواقف والأزمات.

- ثالثاً: التعريف بمفهوم القيادة:

يعد مفهوم القيادة من المفاهيم السلوكية، التي أثارت الكثير من النقاش والخلاف، وتباينت التعريفات في الفكر الإداري، وفقاً للمعالجات المختلفة، التي عرضتها المدارس الفكرية، ووفقاً لتطور هذه المدارس واهتماماتها.

ومع تطور مفهوم القيادة، ظهرت مجموعة من المفاهيم الأسـاسية، ومن أبرزها مفهوم الحكم الراشد، الذي يشير إلى البيئة الصالحة، التي تساعد على إيجاد القائد المناسب، لتحقيق أغراض المجتمع وتقدمه، من خلال سياسات وإجراءات واضحة، علاوة على ذلك، فإن محيط الحكم الراشد وبيئته تحقق العدالة المجتمعية بين أفراد المجتمع والتي لا تتحقق إلا بوجود قيادة فاعلة، سـواء كانت قيادة فردية متمثلة في شخصية القائد، أو قيادة مجتمعية تتمثل في النخبة السياسية أو الحاكمة.

وللتوصل إلى تعريف القيادة بشكل واضح، لابد من الفهم بأن هناك عدة مصطلحات رئيسة مرتبطة مباشرة بالقيادة من أهمها: القوة: (Power)؛ والتأثير: (Influence)؛ والسلطة: (Authority) ( ).

ويمكن تعريف المصطلحات الثلاثة بشكل أكثر تفصيلاً؛ فالقوة( ): هي القدرة الكامنة على التأثير في سلوك الآخرين، والقوة التي ترتبط بشكل عام بالسيطرة على الموارد القيمة أو النادرة؛ في حين أن التأثير: يظهر عندما يمارس شخص ما قوته بوعي أو غير وعي في التأثير على سلوك واتجاهات شخص آخر؛ أما السلطة، فهي القوة الناتجة أو الممنوحة من قبل المؤسسة أو الحكومة.

ويمكن تعريف القيادة كذلك، أنها: عملية التأثير في نشاطات الجماعة بهدف تحقيق الأهداف، ويحتوي هذا التعريف على مفهومين أساسين:

الأول: أن القيادة، علاقة بين فردين أو أكثر، يكون فيها التأثير والقوة، موزعين بشكل غير متكافئ، ومن خلال هذا التعريف، يفرق بين القائد المعين للجماعة، والقائد غير المعين، الذي يمارس السلوك القيادي عندما يكون عضواً مؤثراً في الجماعة.

الثاني: أن القادة لا يوجدون بشكل منعزل، فإذا أراد الأفراد معرفة مدى ممارستهم للقيادة، عليهم أن ينظروا خلفهم، هل يتبعهم أحد؟

لا تستطيع القيادة في غالب الأحيان، أن تكره الآخرين على السلوك بطريقة معينة، ولهذا تتطلب القيادة قبول الأتباع لهذا التأثير، فعندما يُقبل الفرد كقائد، يقوم الأتباع بالتنازل طوعاً عن بعض حرياتهم في صنع القرارات، بغرض تحقيق الأهداف، فالعـلاقة بين القائد والأتباع تمثل نوعاً من التبادل الاقتصادي والنفسي.

في المقابل فإن العلاقة العاطفية للقيادة ليست من جانب واحد، فهناك ارتباط عاطفي للقادة مع أتباعهم، حيث يدل شعور الأتباع نحو قادتهم على مدى توفر دعم الجماعة لهم.

مما سبق، يمكن تعريف القيادة بأبسط تعريف بأنها: «توجيه سلوك الآخرين».

* وهنا لابد من التمييز بين القيادة والرئاســــــــة؛ فالقائد، عنصر مهم لممارسة الســــــلطة، فهو يرى في الجزاء والعقاب أدوات من الدرجة الثانية، في حين منصب الرئيس، يملك سلطة التوجيه، والأمر والنهي، اعتماداً على فرض وتوقيع الجزاء والعقاب في سياق القانون.

والرئاسة؛ تعني في حقيقتها سلطة التوجيه والأمر والنهي، النابعة من الاعتماد الكلي على فرض وتوقيع الجزاءات، في حين القيادة السياسية تنظر إلى هذه السلطة الجزائية كإحدى أدواتها من الدرجة الثانية، وتعتبر اكتساب ثقة الآخرين بطريق الإقناع أداتها الأولى، مستغلة في ذلك ما تتمتع به من خصائص وقدرات ذاتية ونفسية وسلوكية.

- رابعاً: أنماط القيادة وتعدد اتجاهات التصنيف:

تتعدد أنماط القيادة السياسية، كما تتعدد أدوارها، وذلك حسب التصنيفات التالية:

1- حسب أسلوب الوصول إلى السلطة:

تتنوع أساليب وصول القيادة إلى السلطة من نظام سياسي إلى آخر، وتؤثر هذه الأساليب تأثيراً كبيراً في نمط القيادة السياسية وخصائصها وسياساتها وأساليبها في ممارسة السلطة وفي التعامل مع القضايا الإنمائية (الداخلية) والإقليمية والخارجية .

ومن أساليب الوصول إلى السلطة ما يلي:

أ- الدعم الأجنبي:

هذا الأسلوب يجعل هذه القيادة في علاقة تبعية اقتصادية وسياسية للقوة الأجنبية، التي دفعت بها إلى الســـــــلطة، وتضمن لها الاستمرار في الحكم، طالما ظلت هذه القــــــيادة قــــوية وقادرة على حماية مصــــــالح هذه القـــــوة الأجــــنبية، وإلا أطاحت بها الأخيرة وأحلت محلها قيادة أخرى أكثر ولاءً وخضوعاً وقدرة على رعاية مصالحها.

ب- الانقلاب العسكري:

عادة ما يجعل القيادة تتصف في ممارسة السلطة بالقمع والأوتوقراطية، وقد تلجأ بعض هذه القيادات إلى عسكرة نظمها السياسية، من خلال تعيين كبار الضباط الموالين في المناصب العليا السياسية والإدارية.

ج- الرابطة القبلية والعشائرية:

هذا الأسلوب والذي عادة ما يرتبط به توريث السلطة يجعل القيادة توصف بالقبلية في أسـاليب ممارستها للسـلطة سـواء من حيث الاعتماد على مسـاندة القبيلة، التي تنتمي إليها القيادة والقبائل الأخرى القوية المرتبطة بها بروابط نسب ومصاهرة وحماية مصالحها المتميزة . د- الانتخابات والاستفتاءات:

يلاحـظ في غـالبية الدول النامية أن الانتخـابات والاسـتفتاءات لا تعدو أن تكون عملية شكلية، وبالتالي لا تتسـم بعض قياداتها بالديمقراطية الحقيقية في ممارسة السلطة.

2 - حسب طبيعة النظام السياسي:

ميـز العــــالمان الأمـريــــــكيان «جـــابرييل المونــــــــد» و«ج. بنـــجــــهام باول» في مؤلفهما: «الســـــــــياســـة المقارنة: مقترب تنموي»، الصادر عام 1966م، بين نمطين للنظم السياسية:

أ- النظم الديمقراطية.

ب- النظم التسلطية.

واعتمدا في هذا التصنيف ما إذا كان الضبط السياسي يمارس من أعلى (النمط التسلطي) أو من أسفل (النمط الديمقراطي) ومدى توافر المنافسة السياسية، ودرجة استقلالية النظام الفرعي، الذي يتكون من الأحزاب السياسية وجماعات المصالح ووسائل الإعلام وغيرها من منظمات، وأبنية المنافسة والمشاركة السياسية، ومواجهة الضبط السياسي.

4- حسب السمات الشخصية للقائد:

ومن التصنيفات كذلك، تصنيف القيادات السياسية حسب السمات النفسية والسلوكية للقائد، فهناك تصنيفات عديدة، طبقاً للخصائص النفسية والسلوكية للقائد السياسي، في تفاعله مع النخبة والجماهير والموقف والقيم.

ويرى «ف. ج. بيليF.G Balley » ( )، في تصنيفه للقيادات طبقاً لمعيار اتخاذ القرارات، أن القيادة السياسية أساسها قدرة القائد على اتخاذ القرارات في مواجهة الموقف، وإقناع الآخرين من أعضاء النخبة السياسية، والجماهير بهذه القرارات.

ميز( بيلي) بين ثلاثة أنماط للقيادة:

أ- القائد البراجماتي، الخبير البيروقراطي:

هو قائد عقلاني، قادر على تحديد المشكلة، وتقدير الخيارات والبدائل المتاحة، وتكاليفها وعوائدها، ثم يتخذ القرار المناسب ويقنع الآخرين بتنفيذه، فدوره يتركز على الوقت الراهن، الذي يعيشه، وعلى إدارة شؤون مجتمعه، دون أن يملك القدرة أو الطموح في توجيه المجتمع نحو طريق جديد.

ومن سماته: التأني في اتخاذ القرارات، ويعتمد على المنطق في إقناع أعضاء النخبة والمجتمع بقراراته، معتقداً إمكانية حل أية مشكلة في إطار القواعد، والمؤسسات الرسمية القائمة، ويرى أن تسوية أي خلاف أو صراع ناشئ عن تعارض المصالح تكون بالتوفيق وتنازل كل طرف من أطراف الصراع عن بعض مصالحه من أجل التوصل إلى اتفاق، وإذا ما تعذر ذلك، يجب الانتظار حتى يحين الوقت الذي يثوب فيه المتصارعون إلى رشدهم ويحكمون عقولهم، ويتسم في تعامله مع معارضيه بالمرونة والكياسة ورفض الخصومة والعداء، وهو أقرب ما يكون إلى رجل علاقات عامة.

ب- القائد الكاريزمي:

وهو قائد يعبر عن روح الأمة وإرادتها العامة، ومن أهم صفاته: الحيوية والتصميم وقوة الإرادة، والصـلابة، والحسم وإنكار الفشل؛ يعتمد في تعامله مع الأتباع والجماهير على الإقناع ومخاطبة مشاعرهم وعواطفهم؛ وفي تعامله مع المشكلات، يعتمد عادة على الحلول الجذرية الشاملة دون الحلول الجزئية المحدودة.

كما إنه دائماً في سـباق مع الزمن، لإحـداث التغييرات الجـذرية، التي يحلم بها، ويهتم بالمشكلات الكبرى، تاركاً حل المشـكلات الصـغرى لمسـاعديه، وكذلك لا يلتزم بأي قواعد روتينية أو ضوابط مؤسسية، كما أنه يتسم بالتسلط والاستبداد، حيث يحدد لشعبه الطريق، الذي يجب السير فيه دون مناقشة.

ج- القائد الوسيط أو المنظم:

يشبه هذا القائد رجل الأعمال أو المنظم الاقتصادي في تعامله، حيث يحاول المواءمة بين مصالح ومواقف القوى والأطراف المختلفة في المجتمع، حيث يقوم بدور الوسيط بينها، ولا يميل إلى وضع خطط كلية في مواجهة المشكلات، وتكون نتائجها محددة بالنجاح الكامل أو الإخفاق الشامل، ولكنه يفضل الخطط الجزئية المرحلية، ولا يتقيد بقواعد شكلية جامدة.

ولذلك يملك القدرة على المناورة وحرية الحركة، وهو كالبراجماتي، وعلى عكس الكاريزمي، يعتمد في الإقناع على مخاطبة العقل والمنطق، وليس القلب أو العاطفة، وهو على عكس البراجماتي لا يقنع الأطراف المتصــــــارعة بالتوصـل إلى اتـفاق من خـــلال تنازل كل طــــــرف عن جــزء من مصــــــالحه؛ لأنه عادة ما يتحيز إلى صف الطرف الأقوى.

وإذا كان القائد الكاريزمي يزداد احتمال ظهوره واستمراره في ظروف الأزمـات، فالمواقف هي التي تبين الخصـائص والسـمات، التي يتميز بها قائد عن قائد آخر.

وهناك مَنْ صـنف القيادة إلى نوعين: القيادة الرسـمية؛ وهي ذلك النوع من القيادة، الذي يتم عن طريق الاختيار على حسب أسـس معينة، أو التعيين مثلما يحدث في حالات رؤساء الدول؛ والقيادة غير الرســـمية، التي تنشـأ من خلال التفاف أعضـاء الجماعة حول شـخص يحبونه ويتوحـدون معه.

**وظائف وأدوار القيادة السياسية**

يمثل القائد السياسي محور العملية السياسية والظاهرة القيادية؛ لأنه من ناحية أولى، يشغل قمة النظام السياسي، وعليه من ناحية ثانية، أن يؤدي عدة وظائف لها آثار مهمة في حياة وتطور النظام والمجتمع السياسي.

من أهم وظائف وأدوار القيادة السياسية:

1 - القائد كأداة للتغيير المجتمعي:

2- القائد أداة للتخطيط ومبتكر الخطط:

3- القائد هو الحكم في الصراعات المختلفة:

4- القائد أنموذج للمثالية الاجتماعية:

5- وظيفة القائد كرمز للجماعة والمجتمع:

6- دور القائد في خلق الشعور بالثقة والاطمئنان والكرامة وتقدير الذات:

7- القائد والسلوك الأبوي: